العرب
الإثنين 2019/09/02
السنة 42 العدد 11455

مشاهدات في مهرجان فينيسيا السينمائي الـ76

تجريب في الشكل وتلاعب في الحبكة

براعة الممثلين أفضل ما يميز الفيلم الإيطالي

حتى الآن شاهدنا من أفلام المسابقة الرسمية 10 أفلام (من 21 فيلما). أهم هذه الأفلام الفيلم الأميركي الأول "أد أسترا" Ad Astra والفيلم الفرنسي "ضابط وجاسوس" (أو إني أتهم) أحدث أفلام المخرج الكبير رومان بولانسكي، والفيلم الأميركي الثاني "جوكر" لتود فيليبس. يلي هذه الأفلام الثلاثة الفيلم الإيطالي "عمدة بلدة ريوني سانيتا" للمخرج ماريو مارتوني، ثم "قصة زواج" الأميركي لنواه بومباك. وأقل أفلام المسابقة حتى الآن شأنا في رأي كاتب هذه السطور وأكثرها إرهاقا للعين وللذهن بسبب تشتته، هو الفيلم "إيما" أقل أفلام مخرجه الكبير بابلو لارين شأنا.

أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

سنترك الأفلام المهمة ومنها تحفتان على الأقل هما "أد استرا" و"إني أتهم" والثاني تحديدا أعتبره الأفضل حتى الآن رغم كلاسيكيته بل بسبب كلاسيكيته، ونتوقف في هذا المقال أولا أمام "إيما" ثم الفيلم التونسي "نعيش بيك" الذي شاهدناه في تظاهرة "أوريزونتي" التي تنظم مسابقة وتمنح بعض الجوائز أيضا.

يعود بابلو لارين إلى بلده شيلي الذي لم يخرج فيه فيلما منذ أن أخرج فيلم "نيرودا" (2016) الذي سبق أن تناولناه بالنقد على هذه الصفحة، ويصور فيلمه الجديد "إيما" Ema في بلدة "فالباريسو" Valparaíso التي لجأ إليها شاعر شيلي الكبير بابلو نيرودا لتفادي الوقوع في قبضة أعوان السلطة الفاشية. وفي هذا القسم من الفيلم تحديدا أي بعد انتقال نيرودا إلى فالباريسو، أبدع لارين في تصويرها في فيلمه "نيرودا".

> الطابع التجريبي بارز في فيلمي «إيما» لبابلو لارين والفيلم الإيطالي «عمدة بلدة ريوني سانيتا» لماريو مارتوني

وتتميز المدينة بأجوائها البوهيمية ومناظرها الطبيعية وجبالها المطلة على البحر وطالما ألهمت الكثير من الشعراء والفنانين، لكن بطلة فيلم لارين هذه المرة امرأة شابة شديدة التمرد، غاضبة تعبر عن غضبها بطريقتين: الرقص العنيف المعروف في أميركا اللاتينية باسم Reggaeton الريغاتون (الذي ظهر في أوائل التسعينات) والاستمتاع بإشعال النار في السيارات وإشارات الطرق وألعاب الأطفال في الملاهي والكثير من الممتلكات العامة والخاصة، وهي تستخدم في ذلك جهازا مملوءا بالبنزين توجهه ناحية الهدف فتشتعل النار وتقف تراقبها دون وجل، كأنها تتعبد في النار. لا أحد يوقفها ولا أحد ينتبه لها.

وإيما راقصة محترفة في أوقات الفراغ، لكنها لا تكتفي بالرقص بل تعمل أيضا في مهن وأعمال أخرى لا تكاد تستقر في أحدها إلا لتتركها أو يتم الاستغناء عنها، بسبب جموحها وجنونها وسلوكها المعادي للمجتمع لكنها لا تحمل ضغينة على المجتمع (كما في حالة بطل فيلم "جوكر").

وإيما متزوجة من غاستون (غايل غارسيا بيرنال) وهو مدرب فرقة الرقص التي ترقص فيها لكنه يميل إلى نوع من الرقص التعبيري ويستهجن رقص الريغاتون، أما مشكلته مع إيما فهي أنه عقيم لا ينجب لذا تبنى الاثنان طفلا من كولومبيا هو بولو لكن إيما علمت بولو كيف يحرق الأشياء، فاقتفى أثرها وحرق غرفة في المنزل مما أدى إلى احتراق نصف وجه شقيقي إيما.

تهجر إيما غاستون الذي تكن له كل الاحتقار.. وتعيد الطفل المتبني بولو إلى مركز رعاية الأطفال اليتامى. وتتبناه أسرة أخرى، لكن إيما غير سعيدة بذلك فهي تريد الحصول مجددا على بولو. وهي تقيم علاقة جنسية مع أحد رجال الإطفاء الذي جاء بسيارة الإطفاء لإطفاء الحريق الذي أشعلته ووقفت من بعيد تراقبه، ثم تنتقل إلى علاقات جنسية مثلية متعددة مع عدد من النساء ومنهن امرأة سنكتشف في النهاية أنها الأم الجديدة التي يعيش في كنفها بولو كما سنعرف أن رجل الإطفاء هو زوجها نفسه، وأن إيما رسمت خطتها بإحكام واستغلت الاثنين للحصول على الطفل أو أن تفرض عليهما القبول بالاشتراك في تربيته وتبنيه، ولكن ما مغزى هذا كله؟

لا شيء سوى التمرد والرفض والجنون، والرغبة في تدمير العالم والرقص حتى النهاية الدموية ولو على أشلاء الأشياء المحترقة. الطابع التجريبي واضح في الفيلم. وهناك مناظر كثيرة تقترب من الإعلانات التجارية التلفزيونية ذات الإيقاع السريع أو تشبه شرائط الفيديو ميوزيك، مع مونتاج يقوم على التداعيات والمزج مع الخيال والهواجس المجنونة، والوحدة في المشهد هي اللقطة المنفردة المستقلة عن غيرها.. ولكن الواضح أن لارين يهتم بهذه الحالة الخاصة جدا لهذه الشخصية المجنونة التي قصت شعرها فبدت مثل صبي وصبغته باللون الأشقر الفاتح، وألصقت في أذنيها قرطا خاصا، وركبت رموشا صناعية جعلت عينيها الواسعتين مغريتين من دون صدق، تقتحمان الأشخاص بجرأة أو حتى وقاحة، أما تمردها وغضبها فهما غير محدودين وغير محددي الهدف والدافع.

إنها تريد الحصول على ما تريد ولو باستخدام الجميع، لا تقيم اعتبارا للرجال والنساء والنظام والمؤسسة: باستثناء صحبتها من الفتيات زميلاتها في فرقة الرقص.

الطابع التجريبي يغلب أيضا على الفيلم الإيطالي "عمدة بلدة ريوني سانيتا" للمخرج ماريو مارتوني.. تجريب في سياق العبث، ولكن من خلال شكل أكثر وضوحا وتحديدا بل ويمكن القول أيضا إن التحدي في الشكل في هذا الفيلم تحديدا يكمن في قدرته على شد المتفرج لأكثر من ساعتين من خلال مشاهد تتعاقب معظم الوقت (باستثناء الدقائق العشر الأخيرة) داخل غرف وصالات وحدائق منزل عمدة البلدة توني الذي يقوم بدور "الأب الروحي"، ولكنه الأب القاسي الذي لا يتورع عن القتل ولكن من أجل هدف يعتبره نبيلا، يستولي على الأرض ويبني منزلا بمثابة قصر منيف، ولكنه يبرر ذلك بأنه يقدم خدمة جليلة للمجتمع. وهو يقيم العدل، وينزل العقاب بمن يستحق بكل قسوة. يهدد بالقتل والتصفية الجسدية الدموية كل من يتجرأ على الوقوف في وجهه بما في ذلك طبيبه الخاص الذي ظل في خدمته لأكثر من 25 عاما.

> في عدد من الأفلام يشد المتفرج فن الأداء وفن تحقيق الانسجام في إدارة الممثلين الذي يبرز بشكل عبقري

هذا الرجل الدموي القاسي يمتلك في الوقت نفسه قلبا رحيما طيبا، فهو على استعداد للمضي قدما حتى نهاية الشوط لنصرة شاب لجأ إليه يطلب حمايته من والده الشرير صاحب المخبز الذي لفظه.

وسوف يتورط الأب الروحي في مشكلة تبدو بسيطة أكثر بساطة من كل ما سبق أن واجهه في حياته، لكنها ستجعله يدفع ثمنا باهظا. هنا لا تستقر الحبكة كما نتوقع بل تسير عكس ما هو متوقع طوال الوقت وهو أحد المفاصل الرئيسية التي يشتغل عليها السيناريو، كما أن الحبكة تلتوي وتتخذ مسارا آخر مدهشا قرب النهاية بل ومع النهاية.

ولعل أكثر ما يميز الفيلمين "إيما" و"عمدة ريوني سانيتا"، هو عنصر التمثيل. ولن يكون من المفاجئ حصول بطلة الفيلم الأول وبطل الفيلم الثاني على جائزتي أفضل ممثلة وأفضل ممثل في المسابقة، ولكن مازال من المبكر التكهن بالجوائز. فبطلة "إيما"، الممثلة ماريانا دي جيارولامو هي الاكتشاف الحقيقي هنا، بحيويتها وقدرتها المدهشة على الاستعراض والأداء التمثيلي والصمود في جميع المشاهد الصعبة، تماما مثلما يحمل فرنشيسكو دي ليفا فيلم المخرج ماريو مارتوني على كتفيه، ورغم أنه مأخوذ عن مسرحية وأن الحوار فيه يمتد دون توقف لأكثر من ساعتين، إلا أنه يشد المتفرج ويجعلنا لا نستطيع أن نبعد عيوننا لحظة واحدة عن الشاشة.

هنا يبرز بشكل عبقري، فن الأداء وفن تحقيق الانسجام في إدارة الممثلين: التحكم في الميزونسين، والزوايا التي تكشف لنا عن نظرات العينين بينهم خاصة وأن معظم المشاهد تتضمن وجود عدد من الشخصيات في الكادر الواحد، ثم تقاطع الخطوط وتداخل عبارات الحوار أحيانا، وتحريك الكاميرا بحرص وحذر والتصوير في مواقع داخلية محدودة تتم الاستفادة من كل عنصر من عناصر الأكسسوار. إنه متعة للعين.

سؤدد كعدان: المشاهد شريك في الوصول إلى المعنى

منذ أن أسّس جوزيبي فولبي مهرجان فينيسيا السينمائي الدولي في العام 193، وهو لا يزال يحمل في طياته الكثير من المفاجآت والأحداث السينمائية الهامة والتي تشمل العالم كلّه. المهرجان الأعرق في العالم حمل في دورته الخامسة والسبعين عام 2018 حدثا هاما للسينما السورية والعربية وللمخرجة السورية سؤدد كعدان خصوصا، التي نالت فيه جائزة "أسد المستقبل الذهبي" وذلك عن فيلمها الروائي الطويل "يوم أضعت ظلي" ضمن مسابقة "آفاق"، وهي أرفع جائزة في تاريخ السينما السورية، وعن الجائزة وآفاق السينما السورية كان لـ"العرب" هذا اللقاء مع المخرجة السورية الشابة.

نضال قوشحة
كاتب سوري

دمشق – سؤدد كعدان فنانة سورية درست المسرح ثم السينما، تطرح رؤاها السينمائية بمنظور مستقل يحمل ملامح الدهشة والبساطة والصدق. وتحاول في أفلامها السفر إلى الأعمق والأكثر تأثيرا ووجعا. تطرح أسئلة كبرى تخصّ وجود الإنسان ومصيره وحقيقته، وهذا ما سبّب لأفلامها علاقة شائكة مع بعض الجمهور، وعن ذلك تقول لـ"العرب"، "أعتبر أن المتفرج مشارك في صياغة معنى الفيلم، ولذلك نرى قراءات مختلفة لفيلم واحد. لا أحاول أن أفرض أفكاري على المتفرج في أفلامي، أو أن أفرض قراءة واحدة، لذلك أحاول ترك مساحات واسعة للمُشاهد ليخلق المعنى عبر مخزونه الشخصي".

وتضيف المخرجة السورية "عندما أبدأ بالكتابة تكون عندي أمنية بأن يصل هذا المعنى إلى المتفرّج، ولكن استخدامي لصور بصرية أو رموز ما هي إلاّ طريقة أخرى لأجعل المتفرج مشاركا معي. مثلا في فيلم 'يوم أضعت ظلي' الكثير سألني عن معنى فقدان الظلال في الفيلم ولمَ اخترتها، وفي كل مرة أعرض الفيلم في أي مهرجان، أباشر بأن أسأل المتفرج نفسه، ما المعنى الذي وصل إليه؟ والإجابات كانت في كل مرة غنيّة ومدهشة، ففي أحد العروض، كان معنى الظلال هو الموت، وفي عرض آخر هو 'التروما' أو 'الرضح'، وأحد المتفرجين رأى أنه فقدان الشعور بالخوف، وأن 'سنا'، بطلة الفيلم، هي التي جعلت ظلها يختفي في النهاية حتى تبقى قوية أمام ابنها. أن أترك الأسئلة مفتوحة في الفيلم، هو أسلوب أترك فيه المتفرج حرّا في التأويل ليصبح شريكا في المعنى والأفكار. وقد تعجب هذه اللعبة المتفرج، وربما لا. بعضهم يرغب في إجابات وخطابات واضحة وباتة. بالنسبة إليّ، واقعنا العربي الآن، أعقد وأغنى من أن نفرضه عبر فكرة وحيدة المعنى، ترى الوجود بالأبيض أو الأسود في فيلم واحد".

وصلت كعدان إلى منصة التتويج في أبهى حالاتها، وهذا ما يحمّلها كما ترى مسؤولية كبيرة في خطواتها القادمة، خاصة في ضوء الحالة الإنتاجية السينمائية العربية، وعن ذلك تقول "أنا فخورة بالجائزة، بكل تأكيد، وأشعر بالامتنان بذلك. إذ تساعد الجوائز على فتح أبواب وفرص من الصعب الوصول إليها على المستوى الدولي من دونها، وخاصة لمخرجة مستقلة من المنطقة العربية لا تنتمي إلى أي منظومات معينة. والجائزة ليست دعما لأفلامي فحسب، فهي تعزّز الثقة في السينما السورية على الصعيد الإنتاجي والثقة في قدرتها على الوصول إلى الجمهور المحلي والعالمي".

وبعد فيلمها الأهم "يوم أضعت ظلي" كتبت سؤدد كعدان وأخرجت فيلما قصيرا ذكيا ورشيقا حمل عنوان "عزيزة" يتحدث عن سيارة، وبكلفة إنتاجية بسيطة لم تمنع صنّاعه من تحقيق جائزة عالمية من خلاله منافسا عشرة آلاف فيلم من العالم في مهرجان ساندانس.

وتقول المخرجة عن هذه التجربة "عندما بدأت بكتابة 'عزيزة' كنت أعرف أن ميزانية الفيلم منخفضة جدا، ولذلك حاولت أن أجعل الحكاية في مكانين فقط، ومع شخصيتين فقط وفي لبنان، المكان الذي أعيش فيه الآن. وهذا التقليص في العناصر، الناتج عن الميزانيات المنخفضة، قد يولّد شيئا مدهشا على المستوى الإبداعي، فالتجربة على الصعيد الفني كانت غنيّة ومدهشة بمشاركة الممثلين عبدالمنعم عمايري وكاريس بشار".

وتضيف "حاولنا في الفيلم أن نعود إلى الشرط الأساسي البدائي للحكاية وهو اللعب والروي بين الواقع والمتخيّل. وأثناء تنفيذ العمل لم نأمل في الكثير على مستوى العرض، فسوق الأفلام القصيرة وأماكن عرضها أصعب بكثير من سوق الأفلام الطويلة، بل وغير موجودة مطلقا في العالم العربي، إذ لم نفكّر بشيء آخر سوى أن تكون التجربة ممتعة على الصعيد الإبداعي، وغير تقليدية على صعيد الحكاية، والأداء. شيء أشبه بمسرح الحجرة الفقير. ولذلك كانت مفاجأة كبيرة بالنسبة إليّ عندما شارك الفيلم في مهرجان ساندانس وتم اختياره بين 10 آلاف فيلم، ومن ثم فاز بالجائزة الكبرى. ما زلت أطمح وأسعى إلى ميزانيات أكبر لصناعة أفلامي، لنجد حرّية أكبر، وخيارات أكثر، ولكن أحيانا نستطيع ببعض الذكاء أن نجعل الشرط الإنتاجي، محفزا إبداعيا إن تم التفكير فيه قبل المباشرة في عملية الكتابة".

> المخرجة السورية سؤدد كعدان ترى أن الواقع العربي الآن أعقد وأغنى من أن نفرضه عبر فكرة وحيدة المعنى في فيلم واحد

وعن خططها اللاحقة التي تعمل عليها في الوقت الراهن، تبيّن سؤدد كعدان لـ"العرب"، قائلة "أعمل حاليا على عدة مشاريع، كل منها في مرحلة إنتاجية مختلفة، بما أن عملية تحضير فيلم طويل، وخاصة التمويل قد تستمر سنوات، كما حدث مع فيلمي الأول 'يوم أضعت ظلي' الذي استغرق تنفيذه سبع سنوات. فهناك مشروعي الشخصي 'نزوح' وهو من كتابتي وإخراجي، وهذه المرة الحكاية ستكون من وجهة نظر طفلة صغيرة مراهقة في سوريا، والمشروع نال جائزتين مؤخرا في ورشة مهرجان كان للأفلام، بالإضافة إلى جائزة بومي في مهرجان برلين".

وعلاوة على ذلك، تضيف المخرجة السورية "أحضر أيضا لمشاريع جديدة تجري الحكاية فيها إما في لندن، أو بيروت، أو المكسيك، وبإنتاج أميركي أو بريطاني. فهناك غنى إبداعي عندما تعمل مع كاتب السيناريو على فيلم، وعلى حكاية لا تجري الأحداث فيها في بلدك. فبالإضافة إلى الغنى الإبداعي على صعيد الخلق والحوار، تكتشف في النهاية أن الحكاية بسيطة، وأن السينما كعلبة سحرية لصناعة الحكايات، تلامس الإنسان نفسه أينما كان، وتحاكيه".